الفصل الثاني عشر

وثيقة الصف للعمل والعيش معاً

سليم دكاش*

ملخص: يندرج هذا الاسهام في إطار التجارب المدرسية الميدانية تأكيداً لدور المدرسة في التربية على القيم عبر الحياة الصفيّة وعبر مبادرات مباشرة تحث التلميذ على التفكير في القيم. فقد دعي تلامذة مدرسة سيدة الجمهور إلى صياغة وثيقة تدعى "وثيقة الصف للعيش والعمل معاً" تكون حصيلة حوار وتفكير في ما بينهم وبين المعلم المرافق لهم، يثبتون فيها ما يرونه ضرورياً ومفيداً للعمل المدرسي وكذلك للعيش معاً في الصف وفي المدرسة. وبين القيم التي اقترح على التلامذة التفكير فيها والحوار حولها – لكي تصبح مادة ذات طابع عملي وتطبيقي في الوثيقة – "احترام الخير العام واحترام الآخر في الحياة الجماعية، المواطنية، التضامن، الالتزام الاجتماعي، البيئة، الدقة، الحس بالواجب، النزاهة". تصف هذه المقالة المراحل التي مرت بها هذه التجربة، انطلاقاً من الصوغ الأولي للفكرة، ثم مناقشتها في مجلس إدارة المدرسة ومع بعض المربين والأساتذة والتلامذة أنفسهم، ثم إعداد الأساتذة أنفسهم وكذلك تحضير التلامذة ليساهموا في إنجاز الوثيقة. ثم نعرض لبعض نماذج ما أنتجه الحوار ضمن الصف وفي الحصص التي تكرست لذلك العمل، ونورد في الختام بعض الافكار النقدية لهذه المحاولة وبعض الآراء في مستقبلها وكيفية الاستفادة منها.

مقدمــة

لا شك أن الدراسات ذات الطابع النظري في مختلف محاور التربية على القيم هي هامة وأساسية، إلا أنه من شأن التجارب الميدانية، بالإضافة إلى وظيفتها العملية المباشرة، أن تعزّز هي أيضاً الجانب النظري أو على الأقل أن تبرز أهمية التربية على القيم وكذلك المصاعب المختلفة التي تواجهها في الواقع التربوي اليومي.

---

* الأب سليم دكاش اليسوعي، دكتوراه دولة في الآداب والفلسفة، جامعة السوربون، ١٩٨٩. أستاذ فلسفة في جامعة القديس يوسف – بيروت، مدير مدرسة سيدة الجمهور، رئيس تحرير مجلة "المشرق".

انبثقت التجربة الميدانية التي نعرضها في هذه المقالة من إدراك مدرستنا[1]، ادارة واساتذة، ان القيم، في الواقع اللبناني الراهن، تفقد من مصداقيتها وقوتها، وان الاطار العائلي لا يساعد في تعزيز تكوّن القيم، وأنه لا بد للمدرسة من ان تكون الفاعل الاول في هذا المجال. فالمدرسة، الى جانب كونها إطاراً للتعليم والثقافة الادبية والعلمية، هي ايضاً إطار لتنمية الحياة البشرية الاجتماعية بما في ذلك اكتساب القيم. فالسلوك الجيد ليس مجرد خضوع للنظام الداخلي بل انه يقوم اساساً على التربية على القيم التي تتم عبر الحياة الصفية وكذلك عبر مبادرات مباشرة تحث التلميذ على التفكير في القيم والتمييز بين ما له قيمة وما ليس له قيمة وتدريبه على كيفية تجسيد القيم على مستوى الحياة اليومية.

أمام هذا الواقع، كان لا بد من صياغة الطريقة المثلى لدفع التلامذة للتفكير في موضوع القيم واكتشافها أو إعادة اكتشافها. لذلك تم التحضير على نطاق واسع شارك فيه الإدارة والأساتذة ومندوبو التلامذة لوضع أسس نشاط اختباري حول موضوع القيم بحيث تم تحقيقه في الأشهر الأولى من السنة ١٩٩٩ – ٢٠٠٠ تحت عنوان "وثيقة الصف للعيش والعمل معاً". أما القيم التي كانت في صلب النشاط الاختباري فكانت التالية:

المسؤولية أو الالتزام، الحس النقدي، المواطنية، احترام الذات والآخرين.

أولاً: ماذا نعني بـ "وثيقة الصف للعمل والعيش معاً"؟

جاء في مقدمة المفكرة المدرسية الخاصة بمدرستنا لسنة ١٩٩٩–٢٠٠٠ ما يلي: "لأن من مهمات المدرسة تربية تلاميذها على المسؤولية ولكي تصبح القيم الأساسية جزءًا لا يتجزأ من حياة كلّ واحد، إن التلامذة مدعوون في الشهرين الأولين من السنة المدرسية إلى صياغة وثيقة، (تكون حصيلة حوار

[1] هي مدرسة سيدة الجمهور، ص.ب. ١٥١ – ٦٢٢٠، الحازمية، لبنان.

وتفكير في ما بينهم وبين المعلّم المرافق لهم)، يثبتون فيها ما يرونه ضرورياً ومفيداً للعمل المدرسي (لا ننسى أن العمل المدرسي هو مهمتنا الأولى) وكذلك للعيش معاً في الصف وفي المدرسة (لأن المدرسة هي مجال لنمو الحياة). إن هذا العمل سيحققه التلامذة بمساعدة المربين على مستوى كل صف من الصفوف".

وتقول هذه الافتتاحية أيضاً وهي كلمة موجهة لأعضاء الجماعة التربوية كافة من أهل وأساتذة وتلامذة، أن من بين القيم المقترح التفكير فيها والحوار حولها – لكي تصبح مادة ذات طابع عملي وتطبيقي في الوثيقة – "احترام الخير العام واحترام الآخر في الحياة الجماعية، المواطنية، التضامن، الالتزام الاجتماعي، البيئة، الدقة، الحس بالواجب، النزاهة". إن رغبة المدرسة هي في تأكيد ما أشار اليه مشروعها التربوي من ضرورة تعزيز الرابط الاجتماعي والمواطنية وفي تعزيز بروز جماعة تربوية تعرف ما هي حقوقها وواجباتها. فالنظام الداخلي لم يوضع لتهميش الفرد بل لمساعدة كل واحد بأن تكون له الفرصة لانجاح حياته ودراسته. إن هذه الوثيقة لا بدّ أن تتضمن، لا النوايا فقط، بل بعض الأنشطة العملية.

وفي الختام، المطلوب من المشاركين في وضع هذه الوثيقة التي لا تتعدى الصفحة الواحدة ألا يعمدوا إلى إعادة كتابة "النظام الداخلي". بل ان ما يستحسن القيام به هو ترجمة القيم التي نمتدحها إلى بعض الكلمات والجمل البسيطة وإلى قناعات تتطلب منا المواقف والتصرفات أو تعدّل المواقف والتصرفات. وصياغة الوثيقة هي عمل شخصي بقدر ما هو جماعي لأن الالتزام هو في المنطلق موقف شخصي.

إن هذه الافتتاحية لخّصت مشروع وضع الوثيقة وقد تمّت قراءتها ومناقشتها في اجتماعات تحضير السنة المدرسية مع الأساتذة كافة. وقد تطوّع البعض منهم، خصوصاً في الصفوف التكميلية والثانوية، أن يكونوا مرافقي التلامذة وأن يكرسوا بعض الحصص من تدريس مادتهم لذلك. وكان توافق في الرأي في الاجتماعات التمهيدية أن تخصّص ثلاث حصص أو أربع للتفكير والمناقشة على أن يصل المشاركون إلى اتفاق حول خمسة مواقف يجب تحاشيها

وخمسة مواقف أخرى يجب اعتمادها طريقة حياة إيجابية. ولقد تمّ التشديد في صياغة الخلاصة على هذا الشكل تحاشياً للاستطراد والحشو ولكي تتمّ المحافظة على الغاية التي قامت عليها هذه التجربة. في هذا الإطار، ليس المهم حجم الكمية المنتجة، بل إن نوعية المناقشة وصياغة خلاصة واضحة هما الأساس.

ثانياً: طريقة العمل في الصف لتحقيق الوثيقة

يقوم الأستاذ المرافق بعرض الغاية من صياغة الوثيقة. فإذا تمّ التوصّل إليها لا تكون عملاً هامشياً أو ظرفياً، بل إنه ينبع من وجدان التلامذة أنفسهم. والوثيقة، على بساطتها، ستكون عقداً بين الموقعين عليها. ولا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار أربع قيم في الوثيقة هي التالية: الاحترام، الالتزام المسؤول، الفكر النقدي خصوصاً في مواجهة ما هو تقليدي، التصرّف كمواطن حيال الخير العام. ويمكن للأستاذ الإشارة إلى هذه القيم، وإن كانت موضوع المديح، إنما هي جديرة بأن تكون موضوع تفكير. ويشير الأستاذ الى أن ثلاث حصص ستكون مخصصة لهذا العمل في ثلاث مراحل. وقبل الانتقال إلى العمل المباشر، يطلب الأستاذ من تلميذين أو ثلاثة أن يدوّنوا ما يقال ويطرح أثناء المناقشة.

١. المرحلة الأولى (الأسبوع الأول)

تستطيع المجموعة الانطلاق في تفكيرها إما من ثلاثة أو أربعة أسئلة حول هذه القيم ودورها في حياة البشر، وبوجه مباشر، في حياة التلامذة، وإما من نصّ شهير حول أهمية القيم من ناحية وما تجده من رفض ومساومة وعقبات حيال تطبيقها. ويمكن المجموعة أن تنطلق من قضية معينة تتعلّق بحياة المجموعة أو بقراءة لمقطع من مشروع المدرسة التربوي يتحدث بوجه مباشر أو غير مباشر عن قضية التربية على القيم. وجدير بالذكر أن مشروع المدرسة لا يتحدّث فقط عن التربية المباشرة على القيم من خلال تصرّفات أو مواقف، على التلميذ أو على أي فريق من الجماعة التربوية أن يعتمدها، بل إنه يربط التعليم كنقل واكتساب للمعارف والمهارات المتصلة بموضوع القيم، إذ يقول إن نجاح

التلميذ على صعيد اكتساب المعارف والمهارات المتصلة لا يكتمل إن لم يكن واعياً أن ما حققه هو أيضاً للخير العام وأن الفرد هو أيضاً مواطن.

وفي هذه المرحلة، يتم عرض الموضوع بالاستناد إلى إحدى الوسائل المشار إليها ـ وهنا يتم أخذ العمر بعين الاعتبار ـ لكن لا يتم الدخول في المناقشة، بل إن العرض يكون مدخلاً لتفكير شخصي خلال الأسبوع الذي يلي الحصة الأولى، على أن يقوم كل تلميذ بتدوين ملاحظاته وانطباعاته خطيّاً وذلك استعداداً منه لمناقشة القضية في المرحلة الثانية.

٢. المرحلة الثانية (الأسبوع الثاني)

تكون الكلمة في بداية الحصة للتلامذة الذين يعرضون آراءهم واحداً فواحداً، على أن يتمّ استخراج الأفكار الرئيسية الواردة في الحوار والمناقشة. ومن شأن الخلاصة أن تشير إلى رأي التلميذ في القيم موضوع التفكير بالمقارنة مع القيم السائدة حالياً في المجتمع اللبناني، وما هي الوسائل اللازمة لإعادة الاعتبار إليها، وما هي القيم التي يفضّلها ولها أولوية على غيرها.

٣. المرحلة الثالثة (الأسبوع الثالث)

في هذه المرحلة، تصل المناقشة إلى تعداد خمسة تصرّفات يجب تحاشيها لأنها لا تحترم القيم، وخمسة تصرفات يجب اعتمادها لتعزيز القيم في الحياة اليومية، حياة "الصفّ للعمل والعيش معاً"، وهذه اللائحة تتحوّل إلى عقد مكتوب يعلّق بصورة بارزة مميّزة على لوحة الإعلانات في الصفّ.

٤. المرحلة الرابعة (التقييم المستمر)

إن الأستاذ يكرّس حصة واحدة في نهاية الفصل الأول، وحصة في الفصل الثاني لتقييم ما آلت إليه صياغة الوثيقة التي أصبحت، نوعاً ما، قانوناً للصفّ. ويشار هنا إلى أن مجمل أدبيات هذه التجربة ووثائقها (وكذلك نتائجها) وُضِعَ في اللغة الفرنسية، مراعاة لكون المدرسة تعتمد اللغة الفرنسية لغة اجنبية أولى ولأن بعض التلامذة لا يحسنون العربية.

ثالثاً: بعض نماذج تحققت

١. في الصف الثالث الذي اختار العنوان التالي للوثيقة: "أنا اختارُ نظامي"

. قيمة احترام الذات والآخرين تتحقق في:

- أنا احترم رفيقي كما هو
- أطلب الإذن عندما أريد الكلام وهكذا يسمع الآخرون ما أقول
- لا أتهم الآخرين ولا أشكو غيري

. قيمة التربية على الحس النقدي نراها في:

- حقّ التلميذ في الصفّ أن يأخذ الأذن في الكلام ويعطي رأيه
- لا أتكلّم قبل أن أفكّر

. النزاهة نجسدها في:

- عدم الغش والكذب

. احترام الخير العام يكون في:

- المحافظة على النظافة والترتيب الذاتي
- لا آخذ شيئاً ليس لي

٢. في الصف الرابع الابتدائي، اختار أعضاء الصف العنوان التالي: "وثيقة حياة"

. قيمة الاحترام وتعزيز الحس بالخير العام

- احترام تجهيزات الصف والمدرسة، وخصوصاً أغراض رفيقي وأغراضي
- احترام حق الآخرين في الكلام
- عدم إضاعة وقتي ووقت الآخرين عندما تشرح المعلّمة الأمثولة
- العمل الدراسي يعني أن يكون بحوزتي كامل الأدوات مثل الكتب والأقلام...

. قيمة التربية على الحسّ النقدي نراها في:

- الانتباه إلى الدرس.
- عدم التردد في التعبير عن الرأي إذا كان ذلك لازماً، لكن التكلّم دوماً بودّ

. قيمة التربية على احترام البيئة تتجسد في:

- احترام البيئة التي تحيط بنا وعلينا أن نحميها
- السهر على النظافة الذاتية وعلى نظافة الصفّ ونظافة خزانتي

. قيمة النزاهة تتحقق في:

- تحاشي نقل عمل الآخرين

ومن النتائج المفرحة لمن يحترم هذه الوثيقة:

- أصبحُ عضواً في نادي المسؤولين
- احمل بشرى حسنة لأمي وأبي
- أكتسب صفات الأستاذ

٣. في الصف الثاني من المرحلة المتوسطة، توصل أعضاء الصفّ إلى الصيغة التالية، وهي صيغة مبتكرة في أسلوبها على الأقل:

– من دون الاحترام، لا شيء يسير سيراً حسناً،
عندما احترم ذاتي، واحترمك، واحترم الآخرين، يحترمني الآخرون،
الاحترام، هو القيمة التي عليّ أن اتقاسمها،
حتى مع أولئك الذين هم أصغر مني.
– أنا في المدرسة، لا أكون هزلياً أو لكي أزعج الآخرين،
بل أنا في المدرسة للدراسة،
لا، لا أعد نفسي من التقليديين أو موضة قديمة،
إذا أحببت العلم والعمل،
إذا أحببت مستقبلي،

أقرأ مستقبلي في خطوط دفاتري وكتبي.

– شريعة الأقوى هي شريعة التحفّظ،
لا بالنسبة لي، بل في نظر الآخرين أيضاً،
التحفّظ في الأعمال والحركات والأقوال،
في المدرسة وخارجها، وبالتالي أكون على اتفاق مع نفسي.

– ماذا أتعلّم؟
العلوم، اللغات، الفنون ، الرياضة،
الانفتاح على الكون. العملية ليست سهلة،
لا بدّ من الانفتاح على الآخرين،
التبادل ليس مجرد كلمة.

– في حرم المدرسة، من اللازم تحاشي العنف بمختلف انواعه،
من الضروري عدم التعدي على ممتلكات الأشخاص وأجسادهم،
نحيا بروح العائلة، وما هو للواحد هو للجميع.

– في المدرسة، أتعلّم كيف أصبح مواطناً،
وهذا ليس بقليل،
أنتخب المندوبين، أتكلّم بحرّية وأترك لغيري حرّية الكلام،
بروح التفاهم، أكتشف غنى ما هو مختلف بيننا.

٤. وفي صف آخر من صفوف المرحلة المتوسطة، وهو الأول المتوسط، تركزت الوثيقة على مبدأ العيش معاً، وما يفترض ذلك من قيم وتصرفات ومواقف. تقول الوثيقة:

لنحيا بتآلف مع الآخرين، علينا المحافظة على التوجهات التالية:
- الإصغاء للآخر من دون مقاطعة،
- عدم النميمة تجاه الآخرين،

- احترام الآخر بصرف النظر عن هويّته ودينه ولونه وجنسه ووضعه الاجتماعي،
- التحفظ على الحكم على الآخرين،
- العمل بروح الجماعة، وهذا يفترض الحوار والمساعدة، ...
- العمل بضمير على الصعيد المدرسي،
- الاعتراف بالخطأ عند اللزوم ...

٥. في الصف الثالث المتوسط، تلامذة الصف، يشاركهم الأساتذة، يتعهدون الالتزام بالتالي:

المادة الأولى: إظهار الاحترام المتبادل بين الأساتذة والتلاميذ، خصوصاً في ما يتعلّق بالكلام ونوعيته (قيمة الاحترام)

المادة الثانية: إنشاء حوار صريح وودّي بين الأساتذة والتلامذة (قيمة النزاهة)

المادة الثالثة: إن الأستاذ، في مادةٍ معينة، سوف يهتم بالتلامذة الذين يعانون صعوبات في تلك المادة من دون إرهاقهم والتلامذة المجلّون سوف يساعدون في ذلك أيضاً (قيمة التضامن)

المادة الرابعة: إن أعضاء الصف جميعهم يتعهدون عدم مقاطعة من يتكلّم (قيمة الاحترام)

المادة الخامسة: إن أعضاء الصف يتعهدون بأن يتضامنوا، لكن بصورة واعية (قيمة التضامن والحس النقدي)

المادة السادسة: إن أعضاء الصف يتعهدون بالمحافظة على صفّهم نظيفاً ومرتباً.

٦. أما الصف الثاني الثانوي (الفرع الأدبي) فقد صاغ وثيقة على الشكل التالي:

نحن تلامذة الصف الثاني الثانوي (الفرع الأدبي) نتعهّد بنشر الذوق الأدبي والثقافي في فئة الكبار وذلك لأننا من دعاة الأفكار الجديدة.

نتعهّد أيضاً على مستوى صفّنا، أن نحترم رأي كلّ واحد، وأن نعزّز التضامن بين التلامذة ومكافحة كل شكل من أشكال الخبث والسوء ضمن مجموعتنا.

نطلب من باقي التلامذة في الثاني الثانوي أن يحترموا الفن الأدبي.

٧. وننتقي بعض ما جاء في وثائق الصف الثاني الثانوي الأخرى:

- لن نكون صادقين إذا قلنا أن الصف سيسوده الصمت دوماً، إلا أننا سنعمل جاهدين ليسود الصمت عند الشرح وتقديم خلاصة الأبحاث. الصمت أمر مستحيل عند العمل ضمن مجموعات أو في وقت الأنشطة التطبيقية.

- سوف نجهد لحلّ مشاكلنا بيننا قبل طلب تدخل الإدارة. نطلب من الأساتذة الإصغاء المنتبه والرغبة في أن يتفهموا أوضاعنا.

- فلنسعَ لتحاشي التعليقات التي من شأنها إهانة الرفاق أو الأساتذة.

- لا بد من تنبيه بعض التلامذة أن يتحاشوا احتكار الكلام في كل وقت.

- يجب عدم الوقوع في فخ التقليد الأعمى أو الانتقاء اللاواعي لكل شيء.

- المساعدة المتبادلة هي الطريق إلى التضامن والنجاح.

- الصراحة والنزاهة يجعلان العلاقات بين الجميع ودّية وسليمة.

هذه هي بعض النماذج لبعض الوثائق التي طلعت بها المناقشات خلال ثلاث أو أربع حصص (بحسب حاجة الصف وتقدمه في العمل). وقبل الخلوص إلى نتيجة عامة لهذا العمل، لا بد من إيراد بعض الملاحظات الأولية:

١. تحققت الوثيقة بأشكال مختلفة حسب الفئات العمرية. على سبيل المثال، في الصفوف الابتدائية الأولى، عبّر التلامذة عن رأيهم بواسطة الرسوم والتفنن في الخطوط.

٢. شاركت الصفوف في غالبيتها في العمل، إلا أن بعض التلامذة عارضوا علناً توقيع الوثيقة والقبول بها. القليل من الشُعَب لم يستطع الوصول إلى صياغة مكتوبة.

٣. بين منطلق الفكرة وتحقيقها على مستوى الصياغة بعد المناقشة لا بد من الإشارة إلى أن التفكير في القيم لم تكن له دوماً الأولوية على ما يبدو، بل إن النقاش أخذ أحياناً منحى صياغة نظام داخلي للصف.

٤. لا شك أن المرافقين لاقوا بعض الصعوبة في عملهم. إذ إن التلامذة رأوا في الدعوة إلى صياغة الوثيقة أمراً إدارياً ليس إلاّ.

٥. الواقع أن تقييم الوثيقة على مستوى كل صف أو شعبة لم يتم بصورة متواترة في كل فصل كما كان مقرّراً من قبل، بل تُرِك الأمر للأستاذ المرافق في تقرير ذلك.

٦. من اللافت للنظر أن بعض الأساتذة أو التلامذة كانوا يرجعون إلى الوثيقة كمرجعٍ للصف في حال حدوث بعض الإشكالات خصوصاً في صفوف المرحلة المتوسطة أو الثانوية أو حتى الابتدائية.

رابعاً: نتيجة تقييمية عامة

هذا التقييم هو نتيجة مناقشة تمّت في إطار مجموعة من الأساتذة والتلامذة تمّ تعيينها لتقييم تجربة صياغة "وثيقة العيش والعمل معاً"، وقد توصلت إلى الأفكار التالية:

١. بما يخص التحضير وتقويم الموضوع لدى الأساتذة المرافقين

- في ما هو إيجابي: توحيد ما هو أساسي على مستوى الصفوف والفئات والأعمار، توضيح الأهداف المرجوة.

- في ما هو سلبي: لم يكن الأساتذة مقتنعين من الشكل الواحد لعرض الموضوع، فخرج بعضهم عما تقرّر في السابق وهذا ما أتاح للتلامذة المقارنة وتطوّر النقاش نحو مواضيع أخرى.

٢. على مستوى التقديم للتلامذة والعمل معهم

- في ما هو إيجابي: الجهد لتوريط التلامذة - وخصيصاً في المراحل العليا-وحثهم على المشاركة أعطى ثماره. وربما يعود ذلك إلى اقتناع الأساتذة أنفسهم بأهمية مناقشة الموضوع مع تلامذتهم.

دخل الأستاذ كفريق مع التلامذة في موضوع ليس من اختصاصه بوجه مباشر، فاكتشف الأستاذ تلاميذه على مستوى آخر وكذلك التلامذة.

تناولت صياغة الوثيقة تصرّف التلميذ، لكن الأستاذ أصبح فريقاً هو أيضاً لا متفرّجاً من الخارج.

استطاع التلامذة الدخول في مناقشة مواضيع لها أهميتها.

- في ما هو سلبي: لا شكّ أن التعاون كان مطلوباً بوجه عميق، لتحويل الوثيقة إلى مشروع حياة أو للحياة، إلا أن ذلك لم يكن متوفراً دوماً.

القضية ليست صياغة وثيقة شكلية بقدر ما هي قضية تربية تتطلّب الصبر والوقت والإيمان بقدرات التلميذ... والتربية فعل يومي ربما لا تعطى لها الأهمية يومياً ...

أشارت المجموعة أيضاً إلى أن موضوع التربية على القيم أو تحويل الوثيقة إلى شريعة باطنية يصطدم بعقبتين:

- بعض التلامذة "المشاغبين" الذين لا يأبهون للقيم لهم ظروفهم ومشاكلهم ويستحيل أن تجد صياغة وثيقة حلاً لمشاكلهم.

- ما تستطيع التربية المدرسية تحقيقه ضمن جدران المدرسة أو حرمها، لا صدى له دوماً على مستوى العائلة والمجتمع ووسائل الإعلام. فكيف نبني الإنسان المسالم المتحفظ الواعي لمسؤوليته كمواطن في حين أن العنف منتشر في الأفلام وغيرها! وكيف نشدّد على النظام وتطبيقه في حين أن ذلك النظام بحدّه الأدنى مفقود عند بعض العائلات، حيث لا يلتقي الأولاد بآبائهم أو أمهاتهم إلا نادراً. يطلب الكثير من المدرسة في موضوع التربية على القِيَم، في حين أن للمؤسسات الاجتماعية الأخرى دوراً غير قليل الشأن.

٣. توجهات مستقبلية

- في الصفوف العليا، التجربة جيدة، في حين أن الصفوف الابتدائية على الإجمال تقوم بالتجربة – وإن اختلفت شكلياً – منذ زمن. لا بد من إكمال التجربة وتشجيعها لتصبح تقليداً، وإن بصورة متنوعة، خصوصاً أن التلامذة دخلوا التجربة وتناقضوا وتحاوروا ووصلوا إلى صياغات، حتى وإن اختلفت في أهميتها.

- لا بدّ من أن يفكر المرافقون لكلّ عمر أو فئة عمرية بأساليب وأدوات مطابقة لحاجة العمر.

- نزع الصفة القانونية أو الشكلية عن الوثيقة وإلا أصبحت مجموعة قوانين أو مواد نظامية خارجية. التلامذة بحاجة إلى أن يتعلموا الاصغاء لبعضهم بعضاً، وربما المثل الأعلى في هذا المجال هو أن يصغي المعلم أو المربي لهم إصغاءً تاماً.

- تحديد أوقات معينة خلال السنة المدرسية لإعادة قراءة أي وثيقة حول القيم ينتجها الصف لأن الالتزام بحاجة للعودة إلى الذاكرة الحيّة.

- الهيئة التعليمية والتربوية مقتنعة أكثر من السابق أن قضية القيم (تعزيز الحسّ النقدي، التضامن، المسؤولية، النزاهة، الاحترام المتبادل...) لها مكانها في فعل التعليم نفسه وفي شرح مختلف المواد ومضمونها في اكتساب المعارف وفي المنهجيات والأساليب المتعدّدة، وهذا الاقتناع لا بدّ أن يكون أداة مستقبلية في تعزيز التربية على القيم.

خاتمة

تبدو المدرسة أكثر من أي وقت مضى في مقدّم المؤسسات الاجتماعية التي تدرك أن رسالتها هي التربية على القيم وعلى المسؤولية. في هذا المجال يقول أحد المفكرين المعاصرين: "إن تصوُّر المستقبل من شأنه، في إطار بعدِ

ديموقراطي، أن يتأسس على مبدأ المسؤولية. إنها مهمّة الأجيال المقبلة. وإذا كان مبدأ التقدّم لم يعد فاعلاً، فإن بعض القيم مثل السلطة والعائلة والخير المشترك والتواصل الثقافي، التي طرحتها انتفاضة ١٩٦٨ أرضاً[٢]، جديرة بأن تكون موضوع تفكير وتأمل وإعادة اعتبار، فالفردية الليبرالية لا تستطيع أن تعزّز العقد الاجتماعي وأن تعزّز قيم المواطنية"[٣].

[٢] انتفاضة الطلاب في أيار ١٩٦٨ في فرنسا.

[٣] راجع بيار اندريه تاغييف في كتاب "تواري المستقبل".

(Pierre - Andre Taguieff, l'Effacement de l'avenir, Editions Galilee, 2000).

مقتطف من مجلة لوفيغارو ماغازين، Le Figaro Magazine ، عدد ٢٨ ، تموز ٢٠٠٠ .